

الحلقة العشرون

سفر الجامعة

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بدراسة سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكد أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وقبض الريح.

تابعنا في اللقاء الماضي حديث سليمان الحكيم عن ملاحظاته العامة حول الحياة. فتكلم عن الركض وراء الفضة والولع بجمع المال، وكيف أنها لن تجلب السعادة لصاحبها، بل على العكس تجعل حياته مليئة بالخوف والقلق، والأرق أثناء النوم.

صديقي المستمع، إذا كان السعي نحو الغنى وجمع الثروة ينغص حياتنا، فهل هذا يعني أنه علينا أن نعيش حياة النقشف والزهد بالأموال المادية؟ لقد أجابنا سليمان الحكيم عن هذا السؤال الهام. وكشف لنا كيف يمكن أن نتمتع بالحياة التي وهبها إيانا الله. كتب الحكيم قائلاً: "هوذا الذي رأيته أنا خيراً الذي هو حسن. أن يأكل الإنسان ويشرب ويرى خيراً من كل تعب الذي يتعب فيه تحت الشمس مدة أيام حياته التي أعطاها الله إياها لأنه من نصيبه." (الجامعة ٥: ١٨)

دعانا الحكيم هنا أن نعيش حياتنا التي وهبها لنا الله بشكل طبيعي، لا بل أن نتمتع بها. فعلياً أن نتعب أي نعمل ونحصل المال، لتأمين معيشتنا ومعيشة أسرنا. وأن نتمتع بكل الخيرات التي وفرها الله لنا، فنأكل الطعام بكل أنواعه، ونسر بالطبيعة ونستغلها ونستفيد منها فيما هو لخيرنا. إن الله هو الذي خلق هذا الكون الواسع الفسيح، وهو الذي وضعنا في هذه الأرض المليئة بالخيرات، ودعانا لكي نتمتع بكل ما فيها. فإله لا يريدنا أن نتقشف بالحياة ونزهد بها، بل على العكس يريدنا أن نتمتع بالحياة طيلة أيامنا، التي جعلها من نصيبنا.

هل تعلم مستمعي أن كل ما نملكه وما نحصل عليه من خيرات مصدره الله تعالى؟ كتب سليمان الحكيم قائلاً: "أيضاً كل إنسان أعطاه الله غنى ومالاً وسلطه عليه حتى يأكل منه ويأخذ نصيبه ويفرح بتعبه، فهذا هو عطية الله." (الجامعة ٥: ١٩) يريد الحكيم أن ننظر إلى ما لدينا، كثيراً كان أم قليلاً، نظرة صائبة. فالأعمال التي نحصل من خلالها المال اللازم لتأمين معيشتنا، والتمتع بحياتنا، يوفرها لنا الله. وكذلك ممتلكاتنا، وكل ما نقتنيه، هي عطايا من الله. كل هذه الأشياء أعطانا إياها الله، لكي نفرح بثمار تعب أيدينا.

وهو ما تؤكد كلمة الله، إذ نقرأ في سفر المزمير الآيتين التاليتين: "الرب يعطي الخير وأرضنا تُغطي غلتها" (مزمور ٨٥: ١٢) وأيضاً: "الذي يُعطي خبزاً لكل بشرٍ، لأن إلى الأبد رحمته". (مزمور ١٣٦: ٢٥) إن الله الخالق إذن هو مصدر كل العطايا المادية التي نحصل عليها. لهذا علينا أن لا نتذمر ونشكو، بل أن نشكر الله على خيراته وعطاياه. وأن لا نسعى وراء المال والثروة لكي لا نقع ضحية الأمور المادية، وتصبح حياتنا مليئة بالخوف والقلق والهم. لأن الله يريدنا أن نسر بحياتنا التي يضعها بين أيدينا، وأن نفرح بأيامنا.

فما هو موقفك مستمعي؟ هل تنظر إلى الأمور نظرة صحيحة صائبة؟ وهل تشكر الله على خيراته التي وهبها لك؟ وتفرح بما أعطاه لك؟ أم تراك تتذمر وتشكو باستمرار، وتسعى بوسائل غير شريفة لكي تحصل على المزيد من الثروة والمال؟ وبالتالي تجعل حياتك أكثر تعاسة وشقاء؟

هل تدري مستمعي أنك عندما تعترف بفضل الله عليك، وأنه مصدر كل العطايا، يجعلك الله تتمتع بأيامك وتفرح بها؟ لا بل ينسبك تلك الأيام التي تعبت فيها باطلاً، ولم تجن منها شيئاً. ولا تعود تهتم أو تقلق بالمستقبل، إذ تعلم أن الله هو ضامن هذا المستقبل أيضاً. كتب سليمان الحكيم عن هذا الإنسان الذي يعترف بنعم الله عليه قائلاً: "عندئذ لا يُكثر من ذكر أيام حياته الباطلة لأن الله يلهيه بفرح قلبه." (الجامعة ٥: ٢٠ تفسيرية) وهذا تأكيد أن الذي يسلك بالاستقامة، ويعترف بنعم الله عليه، يجعله الله يتمتع بحياته ويفرح بها، لا بل ينسيه أيام الشقاء والبؤس.

كتب الرسول يعقوب من رسل المسيحية الأوائل إلى المؤمنين بالمسيح قائلاً: "لا تضلّوا يا إخوتي الأحباء. كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران." (رسالة يعقوب ١: ٦ و ١٧) أجل يا صديقي، إن الله لا يعطينا إلا كل هو صالح ومفيد لحياتنا. وهو مصدر كل العطايا الصالحة والمواهب التي نتمتع بها. وهو لا يخدع الإنسان، أو يجعله يخطئ ويسلك في طريق الشر، كما يظن البعض. ولهذا علينا دائماً أن نتوجّه نحوه بالشكر، معترفين بأفضاله ونعمه علينا.

هل تعلم صديقي ما هي أعظم عطية يقدمها الله لنا؟ إنها خلاصه الكامل، بواسطة المخلص المسيح. فقد أرسل الله المخلص المسيح، كلمته الأزلي، لكي يهبنا خلاصه المجاني الكامل، بواسطة موت المسيح على الصليب، وقيامته الظاهرة من بين الأموات. وهكذا عندما نؤمن فقط بالمخلص المسيح، ننال عطية الله، التي هي خلاصه الكامل.

كتب الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل قائلاً: "لأنكم بالنعمة مخلصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله." (الرسالة إلى أفسس ٢:٨) فالخلاص الكامل المجاني هو عطية الله العظمى لنا. ألا تود مستمعي أن تحصل على هذه العطية العظمى؟ تعال بتوبة أكيدة عن ذنوبك، وإيمان صادق بالمخلص المسيح، فينعم الله عليك بعطيته العظمى، التي هي خلاصه الكامل. وهكذا تتال الغفران عن خطاياك، وتصبح من أولاد الله، وتأخذ الحياة الروحية الجديدة، وتحظى بالخلود.